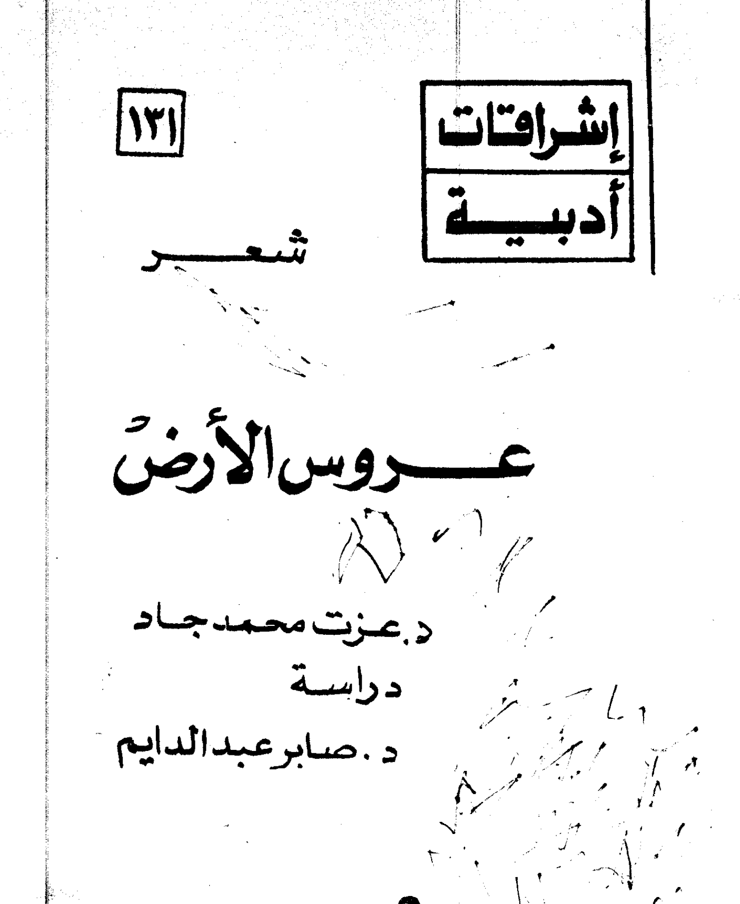


إشراقات أدبية
١٣١
شعر
عروس الأرض
د. عزت محمد جاد
دراسة
د. صابر عبد الدايم
الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣



اهـــداء

الى أحمـد

عـروس الأرض

ع.م.ج

اعيـدى لى البحـر

أعيـدى لىَ البحـرَ
للطـيرِ يومٌ به يسـتريحْ
وفى القـلب ريـحْ
أعيـدى لى البحـرَ
والحـبَّ
والصولجانْ

***

عناقيـدُ نجْـمٍ
لها البحرُ اذ تستوى سيدةْ
تعلمت فيها اشتهاء النخيـلِ
وشباكُ عِشْقٍ يهز الترائبْ

وكالبحرِ تهتزُّ فيه القواربْ
أعيدى لى البحر والعاصفةْ

***

من الريح جئْنَا
فللريحِ كفٌّ
وللريحِ ألفُ اتجاهٍ مَعكْ
فهلّا تفرقتِ كى أجمعكْ
وهلا تفرقتُ كى تجمعينى
وهلّا إذا الموجُ طارْ
حقولاً ودارْ
وفى كل موجٍ لنا سنبلةْ
سنابلنا ضحكةٌ للمساءْ
مساءُ الضياءِ على وجنتيكِ
وفى وجنتيكِ استراحَ الجمالْ
وقالوا بأن العبيرَ اختفى

***

وقالوا بأن الذى يفقدُ البحرَ فذٌّ
وكلُّ الخيـولِ التى تعرفـين
تشد الأراضـين صـوبَ الشواطىءِ
كلُّ الخيـولِ التى تعرفـين
ولـم تعـرفى
لكـى تعـرفى
بأنى ترجـلتُ عامـاً
وعاماً تعلقْتُ فى الأرضِ كى لا تميلْ
وما أدرك الشـاطىءَ المسـتحيلْ
وشـبَّ النخيـلْ
ثلاثون ألفـاً من الخيلِ ماتَتْ
وما الأرضُ مـالتْ
وأدركت أن الشموسَ التى تنزوى

عــن الأرضِ

ــ يا مهــرتى ــ

لن تعــودْ

وأدركتُ أن الأراضينَ فى الغيبِ تاهتْ

وفى البحــرِ شــمسى

وفى البحــرِ بدرى

وفى البحرِ نامَ المحــارُ اشتهاءً

على رملِ صَــدْرى

أعيـــدى لى البحـــرَ

أو مزقينى على ضفتيهِ

١٩٨٦

***

ســـلام عليـــك

أيا نخْـلةَ الحبِّ والمســتحيلْ
ســئمتُ الرحيــلْ
من الخلدِ حتى جبــالِ الذَّهبْ
ومن بحرِ (نوحٍ) إلى برِّ (سامْ)
وعــامٌ فعــامْ
ويشتدُّ عودُ الأميرِ الظّــلامْ
ســلامٌ عليــكِ
عليــكِ السَّــلامْ

***

يقولون إن الذى ينحنى مرةً

يرى الدودَ فرعونَ هـذا الزمانْ
وأن الذى يشـتهى ـ
دمعةَ الحُسْنِ من عينِ بومْ
كبارجـةٍ من غبـارِ الزمنْ
تدوسُ الأزاهيرَ كى تعبرَ الأَرْضَ
هـذي القنـابلْ
الى ثغـرِ بابـلْ
والى الدمعِ فى (شمعدان) السنابلْ
الى قبرِ من كان فى الأرضِ يوماً أبى
نعم كان لى مثلـكمْ كوكبى
وحـين اصطفـاهُ الإلـهْ
تعلقتُ فى الحـزنِ حتى أراهْ
أبى كان فى الأرضِ يُدعى الإمامْ
سـلامٌ عليـكِ
عليـكِ السـلامْ

***

وأينَ الطريقُ إلى قرطبــة ؟
أسوسنةٌ من جبــالِ السكونْ
على وجه من يقتــلونَ النبيينَ
و السـابلةْ ؟ !
أسـهمُ التتـارْ
إلى صدرِ من يزرعون النهارْ ؟ !
أمشنقةٌ من حروفِ الهزيمـةْ
على زندِ شـاعرْ ؟ !
أسـيدةٌ (صقلبيــةْ)
على جيدِها تسجدون ؟ !
على جيدِها نستبيحُ المنامْ ؟ !
ســلامٌ عليــكِ
عليــكِ الســلامْ

***

وكم كنت يا نخلتى أشـتهىْ

عراجينَ حبٍّ وقربٍ وظلْ

ولكنّ بحرَ الرّمــالِ اللعينْ

يشـــدُ النجـــومَ

لكى يســتبينَ الطــريقَ

إلى دمعــةِ المــوتِ

فى أعينِ التمرِ و (الكركدنْ)

فبوركتِ يا خيلنــا المُسْرَجَةْ

وبوركتَ يا شيخنا الحزنَ فوق الجباهْ

ويا ألــفُ آهْ

تمــوتُ الغصــونْ

يفــر الحمــامْ

ســـلامٌ عليـــكِ

عليـــكِ الســـلامْ

***

وواحدةٌ من عناقيــدِ حُزْني

تميلُ على غصـنها .. تنحنى
تقولُ السـلامُ عليكَ السلامْ
وطاعتُنا للوجيـهِ الغرابْ
الى أين يا سـيدي ارتمي ؟ !
وإذا جاءَ يومُ الريـاحِ العصيبْ
فهـل أسـتجيبْ ؟
وإن لـم أُجـبْ
فأيـنَ الفـرارْ
من الموتِ فى كفِّ كلِّ الصغارْ ؟
أنا بنت هـذي النخيلِ الحزينةْ
ولكنَّ خفاشَ ليلِ السـكينةْ
أتى مثـلَ غـولْ
وماتَ البنفسجُ تحتَ الخيولْ
وقبلتُ فى الأرضِ كلَّ الترابْ
فقـلْ يا غـرابْ
إلى أين يا سـيدى أرتمي

فقـال الغـرابْ :
(وفى كفه نَهْـدُ سـيدةٍ من تميمْ
وفى أنفـه مسحةٌ من زُكـامْ)
سـلامٌ عليـكِ
عليـكِ السّـلامْ

١٩٨٦

***

دماً .. دماً

برقٌ تألقَ وارتمى

إن مر فى الأرضِ السلام

قولوا لها

يا أرضُ من للوردِ ؟

من للعصافيرِ ؟

فطيرى أو فغيرى

مطويّةٌ هذى السماء

والدرب جرف فوق نهر من دماء

فى شهقة للأرض

غار الدم فى ثدي السُّحبْ

والصبحُ ميعـادُ المطـر

***

مســافران فى الريــاح

الدم ألقى آخر الأمواجِ فى حضنِ الزوال

والأرضُ ساخت فى شرايين الرمـال

ـ قد تحســبين الأرض تدميها الجـذور

أو تعبـــدين المـــاء

علّ المـاءَ من طمث يخور ـ

مسـافران فى الريـاح

يا أيهـا النمــل اخرجـوا

الأرضُ أضحيــةٌ كـذوب

حتى إذا ما جاء يومِ الدّم أربتْ واستوتْ

وازينتْ

كى تستبيح النومَ فى حضنِ الجثَثْ

***

كانت هنـا .. أشـجار نبق

ـ أمة الدود اسـتجارت ـ

فاستحالت نبقـة الموت اشتهاءً

في دروب العابرين

كانت هنـــا ..

والشـــمس تمتصُ الضـياءْ

والأرض تمتصُ الدّمــاءْ

كانت هنـــا ..

والدود يجــرى هرولةْ

ما بين أرضي والسـماءْ

بينـى وبينـى

عــابرٌ حتى الكـلام

أفضيت جـلدي خِلْسـةً

طاوعت كفَّ الريحِ ـ طرنـا

في مطـار الشـمس

عاشـقينِ أوحـدينْ

لمـا بدا مد الدّماءِ ــ الأرضَ
ألقتْ شـاهدى

***

يا شـــاهدي
فى الأرض قُـمْ
فى اللامكانِ .. اللازمانِ .. اللاوطنْ
جرذان بيتِ الأرض عمـىٌ
والمبصرون استمسكوا بالميتةِ الوسْطَى
يا شـــاهدي
فى الأرضِ قُـلْ
للدّمِ فى كلّ الدُّمى :
أن مرّ فى الأرضِ السّـلامْ

١٩٨٨

***

تــرى تــأتى !!

تـُرى تــأتى !!
أم ارتاحت مدينتنــا
على أنفاســنا الحُبْــلى
برائحةِ الدَّمِ المقهورِ
فوقَ مزارعِ الأسمنتُ
وغرسٌ في فجــاجِ الأرضِ
ــ بعضٌ من عمــاماتِ البوادى
ورأس الفــارس العــربيّ
عند مدْخــلِ (الحمــراء)
فــــوق المــــاءِ

***

تــرى تــأتى !!

وتثقبُ فى ظــلام الكون نافذةً

على بلد تهــاوى

خلف أحزانِ الكآبــة والدمى

ــ السابقون على الأرائكِ جالسون ــ

وتحت الظــل أغنيــةٌ

تراود حلمهــا المســقوف

بالأشعار والأشــجار(الغوث)

عن الضلع الذى لازال يهوي فى سقر

دمانــا فى العــروق تكســرت

صرنــا كمــا يحــلو

لبعض الدودِ أوكــارا!

ترى النــار اســتوت

أم خلف الموت الرمــادا !!

***

وبعــد الأرضِ

هل فى الموت من موت ؟

وبعــد الموت

هل فى الأرضِ من أرض ؟

أيــا وطــن

تعلّقَ فى رقــاب الغيم

ما سقطت به السّحبُ

غــلاف الكون تأكــلهُ

عناكبُ أرضِنا المفقوءةِ العينينِ

يجىء الليلُ مشجوجَ الرؤى أكتعْ

يجىء الصبحُ محمولاً على أربعْ

وندخل فى دواخلنــا

كمــرآةٍ محطمــةٍ

تعلّقنـــا

من العرقــوبِ

يا من تستبيحُ دمى

تــرى تــأتى !!

وتشربُ ما بآنيتى

وتجرعُ نهرنا المســـومَ

بالأوجـاعِ والخطب الخرافيــة

تــرى تــأتى !!

وتسرى فى شراييني

تفتشُ عن دمى المسروقِ من أبتى

تــرى تــأتى !!

وتفتح فى مواجهة الغد المقتول نافذتى

ويا أرض ابلعى دَمَكِ

ويا ســـما ....

ولن تأوي إلى جبلٍ

لأنى يا وليدى قاتلكُ

١٩٨٨

***

وَتَرْشون بالدم والدودِ والمستحيل
عصافير يافا
ورملَّ الجليل
فصبر جميل

***

وإنا رمينا عليكم بـ نونْ
وما يسطرونْ
وهل يستوونُ ؟ !
غرابٌ على حافةِ القبرِ حامْ
وطفلٌ ينامْ

على وجنتيهِ استراح الحمـامْ
كئيبٌ ....

إذا ضاعَ في الوَحْلِ وجهُ النساءُ
إذا خر تحت النجيل النخيـل
فصـبرٌ جميـلْ

***

وطوفتَ في الأرض داراً فدارا
وغـارا فغـارا
ولملمت من كل حبٍّ وقضْبٍ وأبٌّ
ولملمت من كل جَدْبٍ قفارا
وملت الى البحرِ والبحر سُجّرَ
وملت إلى البرِّ والبرُّ أنـكرْ
وملتَ إلى الشـمسِ مـالتْ
ومالَ الزمـانُ .. اسـتدارتْ
على ظهـرِ حيفـا
ورأسِ الخليـل

فصبرٌ جَميلْ
وفى القدسِ شابَتْ
عيونُ المـآذن ـ
من الحزنِ .. واحمرّتِ الضفتانْ
وفى القدس لا يزرعُ الناسُ (أرْزا)
ولا (أقحوانْ)
وفى القدس ينمو رفاتُ الضحايا
بنـانا بنـانْ
وفى القدس نهر الدم المستباح
لمن يشربون
لمن يزرعون
لمن يشتلون الجماجم
عراجينَ حبٍّ إلى (أورشليم)
وألفُ جريح
وألفُ قتيلْ
فصبرٌ جميلْ
***

وتعـلونَ في الأرض

كي تسـقطوا

وتنشـونَ في المهـد

كي تعجـزوا

ويهوي عليكم سحابُ الدُماءِ التي تسفكونْ

سـيولَ المنونْ

وإنا سنرمي عليـكم بـ (كُنْ)

وانا سنرمي عليـكم (يكون)

وإني رأيت النجـومَ اللآلي

إلى بيت لحمٍ قعوا سـاجدينْ

وإني رأيتُ النبيَّ البَهيَّ

ـ على مفرقِ القُـدْسِ ـ

يرفو بدمعِ العيونِ الوطن

ويتلو من الذكر (بلْ سوَلت)

وعنـد الرحيـل

(فصـبرٌ جميـل)

١٩٨٧

***

وكان الحــلمُ قنــديلا

فنبئنــا بتأويــلِهْ

***

وكنا فى سرابِ الكونِ أسراباً

قــواريرا

قــواريرا

وكنتَ الفــارسَ الأوحَــدْ

وكنت الســارى الظمآن يا أبتِ

وعنــد المــاءِ

لم تــأتِ

***

تهاوينـــا
فهبّتْ فى شــمائِلنا
نســائمُ عطرِكَ الفواحِ ــ
آمنـــا
بأنّا فى ظلالِ الكونِ أقمارٌ تدورْ
وطــوقُ البَدْرِ لا يبقى
وسرُّ العــالمِ الأشْقى
تــلاشى ــ
فى تراخِي هــدبكَ المســحورِ
فى صــمتٍ
عن الدُّنيــا

***

وكان الحــلمُ وثاباً
كمــن الطيــفْ
كحــدِّ الســيف
وكان الحــلمُ لا ينضــبْ

كنهرٍ في جوانبهِ
بلادُ الحُسْنِ والسَّوْسَنْ
وكان الحلمُ لا يغضبْ
كبستانٍ
تعلمنا لغاتَ البِشْرِ من حَرْفِهْ
وحين استحكَمَ الحزنُ الدوائرَ
واستدارْ
رنا وقال :
(وأُقسم أنِي لا أحبُّ الشّعرْ)
ومصداقا لما تحكى
أتانى زائرٌ مرة
فألقاني
على كفٍّ من الريحِ
فألقيتُ التراقىَ عنفواناً
واسترحتْ
وكان الحلم ذا نغمٍ

كسحرِ العالمِ الأخضرْ
وأشرعةُ المدينةِ
من بحارِ الصمتِ
تشربْ
وصوت الحقِ في زمنِ البراءة
كسوطِ الماردِ البتارِ في عهد السفوح
وموجُ البحرِ قهّارُ
وقبضُ الموتِ إعصارُ
وسيفُ النّور لا يجني سوى الأقمار
أيا أبتِ
وعذراً لي
وكان الحلمُ لا يرضى ليَ العذرا

١٩٨٣/١٠/١٦

***

دوار

قـلبي يمـوتْ
يمتد شرياني غريقـا
في غيـابات السـكوتْ
تَبٌّ السـكوتْ
تبت خيوطُ العنكبوتْ
والكهفُ والكوخُ الصغيرْ
والعطـرُ كـبيرْ
والقـلب مـاتْ
مـاتَ الأمـيرْ
بعـد العشـاءْ

ألقى دماهُ صرخــةً

ثم انتحــرْ

***

يا صــاحبي

غــابَ القَمَــرْ

قد كان دومــاً يحتضرْ

قد كان يغتــالَ السَّهَرْ

قد كان بــدراً ؟

لا قمــرْ

شــمسٌ تهــاوتْ

ثم ضاعتْ فى الأزَلْ

والأمُ والطفلُ الرضيعْ

تحت الصقيــعْ

والزهرُ فى جــوفِ المطرْ

لم ينهمــرْ

ما عـاد يختـالُ الربيعْ

طفـلٌ يضـيعْ

***

تكبيرتـان

بحران من ماءِ الحنـانْ

والقلب طفلٌ نائمٌ فى حضنِ جانْ

اللـهُ أكبـرْ

لمْ يَقُـمْ

اللـهُ أكبـرْ

لم يقـمْ

يا قـلبُ قـمْ

والقـلبُ نـامْ

المصطفى صـلّى وقـامْ

يا قـلبُ قـمْ

والقـلب نـامْ

الصبحُ فاتْ

الظهرُ فاتْ

العصرُ فاتْ

والقلبُ ماتْ

بعدَ العِشَاءْ

ألقى دماهُ صَرْخَةً

ثم انتحرْ

ضاعَ البَشَرْ

يا صاحبى

واكتبْ على قبرِ القَمَرْ

(مسكَ الختامْ)

قد كان قلبى

آخر الأحياءِ

فى وادى الظلامْ .

١٩٨٢

***

وتأتنســين فى جَسَــدِي
فأغتــرقُ
فتغتربين فى جُــلَدي
فأنفجــرُ
فتنفجـرينَ بســتانا
وتنســكبينَ ألوانــا
وأنســكبُ
وما أنت بدنيــانا
ومالــونى
كما الحرباء ينقلبُ

***

وبين القَمْحِ والزيتونِ ثعبـانٌ
يراودني
ويركضُ خلفَ أسوارِي
ينـادينى
فأبتهـلُ
فيكظم غيظـهُ منى
يلاحقنى برؤيـاتِي
فأنتفضُ
فيخنق ظله صـدرِي
فأنقبضُ
وألقى رؤيتى صرعى
بـلا جَـدٍّ
ولا (يوسـف)

***

وعند الفجر كانت نجمتى ترحل°

تلملمُ بعضَ أشــلائي
بعيداً خلف رؤياى
وخلفَ ظـلالِ هديكِ
وخلف الشــعر والقدِّ

وعن بُعْــدِ
رأيت البدْرَ فى عينيكِ يَغتَسِــلْ
ورحتُ أفتّشُ الأكوانَ عن قلبى
وعيناكِ تجبُّ الشمسَ عن دربي
ودمعي يرتمي طَوعَــاً
على أعتابهِ النهرُ
وتركضُ بين شــطآنى
ملايينٌ من الأطفــالِ
تبتهـــلُ

تســـائلنى
حنانيـــكَ
من الظمـــأِ

وألفٌ من بناتِ الحورِ

خلف السورِ تنتظرُ

وتمضي خلف أسحاري

ثريّاتٌ من الأحلامِ تحترقُ

أنا أسلمتُ راياتي

وأنّاتي

ترامى فوقَها الشفقُ

كفاني دفءُ شطآني

وقرآني

وبعضٌ من تسابيحي

وفنجانٌ من السُّكَّرْ

وحلمٌ يمتطي غَدِنا

ولا أكثر

١٩٨٣

***

والحبِّ إن يغشى المـدى
والقلبِ إن يوماً عـدا
والنورِ إذ حط السـفين
فوق الخـدودِ الآمنينْ
ثم اسـتوى
ثم اهتـدى
ما ضـل عصفورُ الهوى
أو عرْبـدَا
ما خنت يا محبـوبتى
حين اتخـذت النورَ
من عينيـكِ لي

نهـــراً

وبســـتاناً

ودربـــاً أوحـــدا

ما خنتُ يا نبعَ النّـــدى

لكنما صبحٌ يفورُ

بالأفْـــقِ نورٌ

(والســـابقون الســـابقون)

السائحونَ العمرَ فى واديكِ يا بدرَ البدورْ

كان البنفســـجُ فى روابينا يدورُ

إن المـــلوكَ إذا أتوا ....

راح الجـــوى يرمى بضـــاعتهُ

على طفلي الذى يعدو بســـلته القديمةْ

خلفَ حبّـــاتِ المطـــرْ

« فى يوم نحسٍ مســـتمرْ »

حتى إذا جفّ الثرى

رُوت دمـــاه البـــاردهْ

و « الخضرُ » جـاءْ

لكن ومازال الجـدارْ

والنورُ يجرى هـرولة ْ

ما بين ماءِ القلبِ والأرضِ القفـارْ

هل تسـتوى كفُّ الأَسَـلْ

بيد إذا طافت على خدِّ السرائرْ

صـرنا دوائـرْ

فى كل دائـرةٍ قمـرْ ؟

رُد البصـرْ

واحمرّ فى كفّي دمى

واخضرّ فى كفيـكِ عمري

كل الأزاهير التى فى الأرض تعطينا الحياةْ

كانت مزامـير النجـاةْ

لمـا ارتمى قلبى غريقـاً

فى غيـابات الجمـالْ

يا أهل واديِ البرتقـالْ

هل جاءكم نبأُ القمر ؟
ما بين قوسٍ من ذهَبْ
وأنا هنا
شد الهوى بيني وبينك أنمُلَهْ
حتى استوى في الأفقِ بدراً كاملا
يا أيها النورُ الذي فاضَ الجمالُ به سنا
الأرض لِي والمجدُ لكْ
يا كوكبا زانَ الفلكْ
وأنا هنا
في الأرض قَطرٌ من ندى
ما ضل عصفورُ الهوى
أو عربدا
ما خنت يا محبوبتي
حين اتخذتُ النورَ من عينيك لِي
نهراً
وبستاناً
ودرباً أوحدا

١٩٨٥

* * *

عـــروس الأرض

يجىء الطمى ترتيـلا
عصـافيرا
عصـافيرا
وتقعى فى جذور الصمتِ عصفورةْ
يهيجُ الكونُ أشـجارا
يقول الفارس ـ النهرُ ـ
الذى يمشي على أربعْ
ليَ الدنيـا
فيهوى من قواريرى المطرْ
فتفرح فى مهاد الأرضِ ليمونَةْ
تصـير الأرضُ قنينـةً

فيغلي طائرٌ فينـا

إليكَ الأرضُ والسُّحُبُ

فعجِّــلْ ـ

قد يذوب الكونُ في الكون

يذوبُ الموتُ في الموتِ

أنــا

أنتِ

فيهرب من مآتمنا عروسُ الأرضْ

١٩٨٨

***

يجــيء القمـــر

رويــداً .. رويــدا
يغيبُ القمــرْ
رويــدا .. رويدا
يجــيءُ القمــرْ
رويــدا .. رويــدا
أنا والجمالُ نذوبُ اشتياقا
وأنت التنــائيَ
أنت التــلاقيَ
أنت اندثــاري
أنت انبعــاثي
أنت الظــواهرُ

أنت الجـواهرُ
أنت العطورُ على ثغرِ بابلْ
قطـارٌ يســافرْ
قطـارٌ يعــودْ
وأنتِ الوجــودْ
وأنتِ الســفرْ

***

يجــيءُ القسـرْ
يسافر من بين برٍّ لبرْ
ويشــتاقُ لحنــاً
وينســاب غصــناً
يناجيَ أحزانَ عطريَ فوقَ الدروبِ
أيـا عطـرُ ذوبي
عليــكِ الأمــانَ
وبحرُ الأمانيَ في شاطئيكِ

يبثُّ اللآلىءَ فى دمعتيكِ
دعينى أسافرُ
دعينى أهاجرُ
منكِ إليكِ
دعينى .. دعوتكْ
أين المفرْ ؟

***

يجىءُ القمَرْ
يلملمُ كلَّ الليالِي الحِسَانْ
ويرمي على أسطحِي ليلتىْ
يحطُّ الحنينُ
على ثغْرِ عينْ
وتجرى الجداولُ
تعدو الجداولُ
ونجرى ونعدو .. وكلٌ يحاولْ

وفيك تســافرُ كلُّ الفصــولْ
وفيكِ يسافرُ سِحْرُ البتولْ
وعنــد النخيــلْ
يجــيءُ المخــاضْ
يذوبُ الوجودْ
يحــط الجمــودْ
يهلُّ الزمانُ بعامٍ جديدْ
يفــل الحــديدْ
ويمتاحُ من نبعِ هذا الزمان .
صــهيلُ المــكانْ
ونــارُ الجنــانْ
وعنقودُ ليلٍ طويلٍ طويلْ
وعنــدَ السَّــحَرْ
رويــدا .. رويــدا
يجــيءُ القمَــرْ

***

١٩٨٢

ليلتـــان

ليـلةُ الاثنـين
كان ليـلي بين بين
كانت الدنيـا أنا والحسنيينْ
كانت الأقمـارُ تنبي عن شهيد
فيـكِ يا دربيِ الوحيـدْ

* * *

جئتُ من فيض السـنابلْ
جئت يا ريحـانَ بابلْ
أنثرُ الأحـلامَ فى وجه الوليدْ
فـوق أهـداب الجريـدْ

جئت فى الأمطارِ مذكان الوجودْ
قطعةً حمراءَ
جئتُ فى الأمطارِ أزهارا
جئت فى الأزهارِ أطوارا
ضاربا فى الكونِ عطري
أنفض الأحزانَ عن وجدِ المدينة
عن صناديق الوجوه الزيف
عن طيفِ الأميرة
عن أحاديثِ البنفسجِ
عن فتاة الحسن و « الشاطر حسن »

* * *

ليلة السبتِ الحزينهْ
ضاع قلبى فى المدينهْ
جاء فى « السبت » الغراب
قال يا قوم اسجدوا

ســهماً وخــابْ
حطَّ سرب الحبُّ
في أرضِ الخرابْ
نــامَ طفــلي
تحت سياقِ النهــارْ
طــائر الفردوسِ طــارْ
هــللوا .. كلُ الصغارْ

* * *

ليــلةُ الاثنــين
كنــا اثنــينِ
ليــلة السبتِ استرحتُ
ليــلة قد لا تجيءْ
أُنني ألقيتُ قلبيَ
قطعةً حمراءَ في أنيابِ غولْ

١٩٨٥

***

طــائر الطـــريق

الى شوقى سليمان

قد تهون الأرض فى كف المطر
قد يهون العمر فى كف القدر
قد يهون الورد فى كف الحبيب
قــد نجىءْ
أو نغيــبْ
قد نصــونْ
أو نخــونْ
لكن الآن الخضــوع
لكن الآن الدموع
لكن الطير الذى حطَّ الجنــاحْ

والجموع العاشقون الضـوءَ خطوا
فوقـهُ قلبـاً
وقنـديلاً
ودارْ
شـدّ قلبَ الأرضِ عِشْقاً
وانطوى كالبرق من بين العشـيرةِ
ثم طـارْ

***

يا لوجه قد تحلّى بالندى
ليس فصلاً فى الحزانى إنما
دمعةٌ بالحبّ تلقيها المباخِرْ
ليس فصلا فى الحزانى بينما
انقباضٌ بالعنابرْ
وانبساطٌ فى شعيرات أشجارِ الجسور
حسبما كانت دواليباً تدورْ

لكن الآن امتثالٌ
في جلالٍ .. في سكون
حسبما كانت وما كانت
وماذا قد يكون
غير ما خلفت عنْكَ
من ودادٍ وابتعادٍ
من شجونْ

* * *

كنت ترنو طلعتى
تقرأ الوجهَ الخجول
إذ أجاريك الحديثَ
عن جيوب الشمس في ثوب المغيبْ
عن بعيدٍ أو قريبْ
عن سماءٍ لم تزل بالحبِّ
عنوانُ الغريبْ

عن رفـاقي

يا رفاقي .. كم ؟ متى ؟

والملتقى دمعٌ تنزى في سواقيه الرفيق

والطريقُ الآن شــوكٌ

شدَّ ماءَ القلبِ واغْتالَ الصديقْ

١٩٨٨

***

رغم أنف أبى الهــول

- ١ -

عيناه صخرتان تقبعان فى المدى
وأنفـــه
ينفك ثغرُ الموتِ عن مواقعــهْ
وحاجبــاهُ الميمنــةْ
والميســرةْ
والثغر بــابُ المقبرةْ

***

- ٢ -

مـرّ القطـارْ
والنجمُ يا مليكتي أفلْ
وثم عقربٌ إلى مدينتي يعود

***

- ٣ -

الجرح بعضٌ من تراتيـلِ المدى
والعينُ دانيـةُ القطوفْ
والشـعر من فرطِ الهوى
جبّ السـيوفْ
والثغرُ نهرُ المنتهى
ياكحـلَ عينيهـا اسـترِحْ

***

- ٤ -

قالت خفافيشُ المدينة
الشمس لما أقلعتْ
والجاريات المنشآتِ بأدمعي
قد أبحرت
وتضوعت عطرُ الجراح مدينتي
كان السفيه
لا يشتهيه
والأنفُ شوكٌ
قد أقضتْ مضجعه
الأنفُ ضاعْ
من يرجعهْ ؟ !
يا هول فاجعة الأنوفْ

***

— ٥ —

ســاووا الصــفوف
كل النمــارقٌ ها هنــا
حتى إذا جــاء الإمــامُ
وفُتِّحَتْ أبوابُهــا
قــال اخرجــوا
بعضٌ إلى بعضٍ عدوّ

***

١٩٨٥

لأجـل الحـب يا سـادة

لأجـل الحـبِّ يا سـادةْ
صـبايا الزهـرِ تغتصـبُ
ويقتـلعون أبكـاراً
وأزهـاراً سـتقتضبُ
يمـوت السـوردُ في بلدى
وشـهدُ الحـبِّ ينتحـرُ
ونهـوى الزهـرَ نقطفـهُ
ونرميـه فيحتضـرُ
وفي البسـتان عشـاق"
لـه ترنـو وتنتظـرُ

لأجلِ الحبِّ يا سادةْ
تهاوى بيننا الزهرُ

***

لأجلِ الحبِّ يا سادةْ
يلمُّ الليلُ أبعادهْ
ويرمي في خنادقِهِ
من الريحانِ ميّادةْ
لأجل الحب يا سادة
يجبُّ الفرحَ أعيادهْ
وترتحلين في بحرٍ
أبادَ الموجُ عبادهْ
فلملمنا مآسينا
وماتَ الحبُّ كالعادهْ

***

١٩٨٢

لن أمـوت يا رفـاق

سأنفض الغبارَ عن كواهلِ الزّمَنْ
وأقلعُ النهـارَ من غيابةِ المحنْ
وأمتطـي سـفينتي
أباركُ الرحيلَ فى مدائنِ البيارقِ الملوّنة
أولد الحيـاةَ من شرانقِ الحقولْ
أمـزّقُ الأفـولْ
وأسكبُ العطورَ كى يغردَ الفراشْ
كى يزغـردَ الحبيـبْ
حين تحضن الضفافُ موجَها الغريبْ
ضمـةَ الفِـراقْ
لن أمـوتَ يا رفـاقْ

ولن اسلّمَ الترابَ ثم طينْ
تقـــامرونْ
تســـابقونْ
تسجّون للبريقِ فى معـــابدِ النفاقْ
تسيّفون هامــةَ الغـــريقِ
إن يفِـقْ
تلملمــونَ كومــةَ الجــدارْ
وتقــلعونَ كالنســـورِ
فوق حفنــةِ الحصــارْ
وتقذفون طفليَ البريءَ بالعنــاقِ
تضــيّقون فى الخنــاقْ
لن أمــوتَ يا رفــاقْ

***

لأن ملءَ القــلبِ سِـحْرْ
ومــاءُ عطــرْ

وجدولانِ يجريانِ يسكبانِ ضَوْءَ فَجْرْ ،
وضفتان تعلوان وجهَ طفلتي الحياهْ
وزورقان يسبحانِ ينثرانِ حفنةَ النهارْ
فـوق صحبـةِ الصِّـغارْ
حين الانطـلاقِ خلفَ رحمةِ القبورْ
لأن مـلء القـلبِ نـورْ .
جمعـةَ العتـاقْ
لن أمـوتَ يا رفـاقْ

***

وإن أَمُـتْ
يضـلّ نجمُـكمْ
يخرُّ كالذبيحِ في مآتم الصَّنمْ
وتقبعون في مداخلِ المدائنِ الحزينهْ
تفتشـونَ عن قمـرْ
وتسـألون لا خبرْ

وترحلونَ تنفضونَ حومةَ الغمامِ
والبحـــارِ
والعشـــارِ
ودمعةَ النهارِ فى أزقةِ المدارْ
تفتشـــون عن قمـــرْ
وتســـألون لا خبرْ
لأجلـــكمْ
لن أســـلِّمَ المنونَ هامتى
ما دمتُ فارسَ العنـــاقْ
ليـــلةَ الســـباقْ
لن أمـــوتَ يا رفـــاقْ

١٩٨٤

***

هـــذا الديــوان

بقلم : د. صابر عبد الدايم

ان حركة التجديد فى الشعر الحديث مازالت تواصـل تقدمها ، وأشكال التعبير وطرائقه تتمخض فى كل فترة عن وليد جديد . وأيا كان الموقف النقدى من هـذه الأشـكال ، فان الشكل الشـعرى سيظل يتجدد ، ويصـوغ التجربة فى اطار جديد ، طالمـا أن الأمر يظل فى دائرة الفن الجيد الذى تغذيه موهبة سامقة ، وتدفع به الى الوجود المؤثر ثقافة رفيعـة .. متفتحة على التراث الانسانى كله . ومتفاعلة مع حركة المجتمع تفاعـلا يدفع بهـذه الحركة الى الايقـاع ــ النمـوذج ، أو الصورة ــ المثال .

والقصيدة المعاصرة وهى تواكب هـذا التطور فى أرقى نموذج لها .. لم تعد حبيسة غرض شعرى تقليدى ، ولم تعد رصدا خارجيا لمناسـبة يستجديها مزيفو الكلمـة ، ولم تعد

احتذاء لنموذج قديم له طغيانه الفنى ، واشعاعه النافذ ، ويظل النص المقلد بضاعة مزيفة •• ومسخا شائها •

والقصيدة المعاصرة تتجاوز نطـاق المناسبة ودائرة الحدث لتتعامل مع أثر الحديث •• وهنا تصبح الرؤية الشعرية أعمق عطاء وأكثر أبعادا ، وتصبح القصـيدة اذا ارتقت الى هـذا المستوى الشعورى مدينة تتعدد أبوابها بتعدد روادها ، ويمكن أن نطلق عليهـا القصيدة/الكنز ، أى أنها تتفتح عن أكثر من معنى ، وتأخذ أكثر من تصـور •

ويمكن بعد تأمل عالمها أن نبصر فى مداها بعدا سياسـيا ، وبعدا اجتماعيا ، وبعدا ذاتيـا ، ولا يظن أن هـذه الأبعـاد أغراض متعددة فى القصيدة ، بل كلما قرأت القصيدة هبت عليك رياح جديدة بمعان جديدة •

والقصيدة المعاصرة فى احدى صيغها التجديدية تسـتوحى التراث الانسانى • وبخاصـة التراث العربى والاسلامى •• محاولة اضـاءة الواقع بها فى التراث من لحظـات التنوير ، واشعاعات الزمن الفعال ، ولا يقتصر التعامل مع التراث على ذكر لفظة قديمـة ، أو استدعاء معنى قاله القدماء ، أو تكرار صورة خيالية قديمـة ، فهذا التفاعل مع التراث تفاعل سـلبى

لا يدفع للأمام ، بل يفيد النشاط الانسـاني والابداع الفنى وانما التعـامل مع التراث يتمثل فى هضمه جيدا وصياغتـه صياغة جديدة فى صـورة فنية تستشرف آفاق المستقبل وهى تسلط عينا يقظى على الواقع •• وعينا فاحصة على التراث •

ويمكن أن نطلق على القصيدة فى اطار هـذا النهج الفنى القصيدة/القناع فكثير من الشـعراء يستوحون قصـائدهم من النسيج الانفعالى والتطور الوجـدانى لشخصيات تراثيـة مثل « عروة بن الورد » وامرىء القيس ، والمهلهل بن ربيعة ، وعنترة بن شداد ،

ومن الشعراء من يركز على الشخصيات الاسـلامية التى أثرت فى مسيرة التاريخ الاسلامى ، وهؤلاء يستوحون تجاربهم الشعرية من المواقف التاريخيـة والملامح الشخصية والسلوكية لهذه الشخصيات ، « عمر بن الخطاب » على بن أبى طالب ، عمرو بن العاص ، الحسين بن على ، الحجـاج ، معاويـة ، محمد بن القاسم الثقفى •

وأصبح النهج السابق فى بناء القصيدة الحديثـة تقليدا فنيا سائدا فى تيار الشعر الحديث فى العالم العربى ، ولكنـه فى كثير من التجـارب يقع فى سلبية السرد التاريخى ، ويفقد

وظيفتـه الفنيـة ، وتفقد القصـيدة حينئذ أهم خصـائصها التشكيلية .

والقصيدة المعاصرة ذات الرؤية الشعرية المتفردة والتى صيغت فى اطار فنى جديد ، تعد اللغة من أهم مكونات هـذا الاطار . فلغة الشعر المعاصر لغة تصـويرية ، والشاعر المعاصر يعيد الى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية فى اللغـة . فالكلمات فى نشأتها الأولى كانت تدل على صور حسـية ثم صارت مجردة من المحسات فالشعر كما قال « فولتير » وضـع صورة متألقة مكان الفكرة الطبيعية فى النثر .

ويمكن القول بأن اللغة فى الشعر المعاصر اشارية ايحائية تحيل المعنى المجرد الى كائن مشـاهد ، واللغة لها نفاذها فى الفهم الحقيقى للشعر ، حتى لو كانت وحدة اللغة حرفا أو كلمة أو جملة أو بيتا أو قصـيدة .. فلكل وحدة لغوية دورها فى العمـل الفنى ، ومن هنا ندرك سر التمـايز والتفاضـل بين قصيدة وقصيدة ، ومما يميز الشعر المعاصر أنه « يشترك بوشائج النسب مع الصـوت والمعنى فى اللغة . فالوزن ينظم الخصائص الصوتية فى اللغـة ، ويبدو تأثيره فى تحقيق الكلمـات ودعم فاعليتها حيث يبرزها ويوجه الانتباه اليها ، والى ما فيهـا من

موسيقى موحية ، ولا يستطيع المستوى للغة أن يكون معزولا عن معناه ، فبنية المعنى ذاتها تنقاد للتحليل اللغوى » (*) •

ولغة الشعر المعاصر تختلف عن لغة الشعر التراثى نظرا لاختلاف العصر ، وتغير مقاييســه • فالقصيدة المعاصرة تضج بعالم من المفردات والتراكيب المشحونة بالتوتر والقلق ، فنجد بها أصــداء من معجم الفلسفة ، ومعجم الاقتصــاد ، وعــلم الاجتمــاع ، وعــلم الانســان « الانثربولوجيــا » وكذلك « الميثولوجيا » •

ومن الشعراء من يقحم فى أشعاره ألفاظ ومفاهيم العــلوم الرياضية ، وعلوم الكيمياء والأحياء ، والفيزياء ، والتــاريخ ، والجغرافيــا •

ويمكن أن نرجع التعقيد البيانى فى القصيدة الحديثــة الى هذا الخلط اللغوى فى جســم القصيدة المعــاصرة ، وهــذا التعقيد البيانى أبعد كثيرا من الشعراء عن دائرة الشعر الصافى •

وديوان « عروس الأرض » للشاعر عزت جاء ، يحــاول

(*) لكاتب هذه الدراسة دراسة حول « القصيدة المعاصرة بين الرؤيــة الناضجة والأدوات الفنيــة الجديدة » نشرت بحولية كلية اللغــة العربيــة بالزقازيق العدد السابع ، ونشرت بملحق التراث بجريدة المدينة بالسعودية •

الاقتراب من آفاق القصيدة الحديثة رؤية وأداء .. والشاعر فى تجاربه فى هـذا الديوان يحـاول أن تتوارى ذاته ، وأن تتسم تجاربه بالشمولية ، ولكنه برغم هـذا الحرص نجد بعض قصائده تصـاغ فى قالب مباشر مثل قصيدة « فصبر جميل » وتأتى بعض قصـائده أحيانا مصبوغة بالصبغـة الرومانسـية مثل قصيدة « لأجل الحب يا سادة » وهى القصـيدة الوحيدة « المقفاة » وكذلك قصيدة « يجيء القمر » ، وقصيدة « صفحة من كتاب الحب والنور » يطغى عليهما الجسد الرومانسى .

وأحيانا نراه يصوغ قلقه النفسى فى تجربة تأملية تقترب من دائرة الفلسفة ، وتفصح قصيدة « دوار » عن قلق الشـاعر وتوتره ، وعنوانها يجسد هـذا الاحساس ، وقصيدة « طائر الطريق » تصـور فلسفة الشاعر ورؤيته للحيـاة والأحياء .

وعزت جاد فى كل هـذا التنوع فى تجاربه لم يفقد وهج الفن ، ولا صـدق الشعور ، ولا حرارة الانفعال .

وهو فى كل هذه التجارب لم تغب عنه الأرض ، ولم يغب عنها فى غيابات أحلامه ، أو تهويماته الرومانسية ، ولم يتحول الى بوق صارخ .. لا يترك نغمـة نافذة فى أغوار النفس أو فى ضمير الكون .

وانما قصـائد الديوان كلها تستمد ثراءها من خصـوبة الأرض ، وتتشكل ملامحها من هوية الوطن •

ومن الآفاق الفنية التى تضوأت فيها تجـارب الشاعر فى هذه المجموعة الشـعرية توظيف التراث وجاء توظيف التراث فى هذه المجموعة بعيدا عن الرصـد التاريخى المباشر ، ولكن الشاعر لم يتخذ من التاريخ قناعا •• ينظر من خلاله الى الواقع، وقد اكتفى باللمحات السريعـة ، واللقطات الخاطفـة من عالم التاريخ الزاخر ، وهذه اللمحات السريعة جعلته يحشد فى القصيدة الواحدة أكثر من اضاءة تاريخية ، وتعددت تبعا لذلك معطيات التراث وعنـاصره فى تجربة واحدة حيث اسـتدعى شخوص التاريخ وأماكنه وأزمنته ومواقفه •

وقصيدة « سلام عليك » تزخر بهذا الفيض من المعطيـات التراثية •• ومنها « الخـلد » وهو اشارة الى حياة آدم فى الجنة ، ولفظ « الخلد » لا يوحى بالبداية كما أراد الشـاعر ولكنه يرمز الى البقاء وعدم نهاية الحياة •

وفى القصيدة نفسها يردد ذكر « التتار ــ بحر نوح ــ بر سام ــ فرعون ــ ثغر بابل ــ قرطبة ــ السيدة الصقلية ــ الذين يقتلون البنين ــ » •

ويبدأ الشاعر هذه القصيدة بنداء يجسد شـوقه ولهفته الى معانقة الأرض فى صورتها المـاثلة فى وجدانه لها .. وفى الوقت ذاته يصـور واقعهـا المرفوض تصـويرا فنيـا يقول الشـاعر

أيا نخلة الحب والمستحيل
سـئمت الرحيـل
من الخلد حتى جبال الذهب
ومن بحر « نوح » الى بر « سام »

***

يقولون ان الذى ينحنى مرة
يرى الدود فرعون هذا الزمان
وأن الذى يشتهى دمعة الحسن من عين بوم
كبارحة من غبار الزمن

وتسيطر على الشاعر نزعة السخرية فى أساليبه وصوره : وهى ظاهرة تستوقف النظر فى هـذا الديوان .. كما أنها من ظواهر التمرد فى بناء أسـلوب القصيدة الحديثة .

ويسوق الشاعر سخريته فى هذه القصيدة وفى غيرها من القصائد الأخرى فى عدة أشكال •• منها التقابل اللفظى •• والتناقض الوصفى •• والتكرار •• والمحاورة والاستفهام •• والتصوير الشعرى ، وقد جمع كل هذه التجسدات لنزعته الساخرة فى قصيدة « سلام عليك » وشاع بعضها فى كثير من قصائد الديوان •

فالتقابل اللفظى والتناقض الوصفى والايحائى بين « الدود » و « فرعون » يصور سخرية الشاعر من الواقع •• والتعبير بالفعل « يقولون » يؤكد السخرية الرافضة لهذه الظاهرة •• وقوله « يشتهى دمعة الحسن من عين بوم » يجسد أيضا هذه النزعة الساخرة •

وتنبع السخرية من وصفه للظلام بأنه « أمير » •• والظلام يجسد كل القيم المرفوضة فى الحياة •• ولكن فى ظل اضطراب المعايير أصبحت هذه القيم هى النموذج كما يتصور الشاعر •

والتكرار من الظواهر الأسلوبية التى تجلى نزعة الشاعر الساخرة •

فقد كرر الشاعر خطابه للأرض « سلام عليك ــ عليك السلام » خمس مرات اضافة الى العنوان « سلام عليك » وجعل

هذا الخطاب الساخر فى نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة تمثل ذروة الموقف الساخر عن طريق الحوار •• والرمز والتصوير والتأثير الصوتى •• حيث صور الغراب أهلا للمشورة والتساؤل •• والغراب فى الوجدان الانسانى نذير الشؤم والخراب •• وقد وصفه سابقا بقوله « الوجيه الغراب » ويصوره فى نهاية القصيدة راسما هذه اللوحة التشكيلية الحوارية الصوتية :

ومات البنفسج تحت الخيول
وقبلت فى الأرض كل التراب
فقل يا غراب
الى أين يا سيدى أرتمى
فقال الغراب
(وفى كفه نهد سيدة من تحيم
وفى أنفسه مسحة من زكام)
سلام عليك
عليك السلام

وقد كرر الشاعر لفظ الأرض فى المقطع الثانى ثلاث مرات ، وردت مرتين فى سياق عبارة واحدة « كان فى الأرض » ، والتعبير بالفعل « كان » له دلالة ساخرة وظلال منطوية على مشاعر الحسرة والأسى .

والاستفهامات المتوالية ، والتساؤلات الساخرة ، والصور المتناقضة تأتى كلها ممزوجة بالروافد التراثية التى يوظفها الشاعر لاثراء تجربته .

يقول ...

أسهم التتار الى صدر من يزرعون النهار ؟ !

أسوسنة من جبال السكون .. على وجه من يقتلون النبيين ؟ !

أمشنقة من حروف الهزيمة .. على زند شاعر ؟ !

أسيد صقلبية .. على جيدها تسجدون ؟ !

والشاعر فى خطابه المتكرر للنخلة/الأرض .. يوظف الصورة الشعرية للوصول الى السخرية من ذلك الواقع الذى يرفضه .. فهو فى بحثه وتساؤلاته وسخرياته لم يعثر حتى على بقايا الحب والقرب والظل .

... وكم كنت يا نخلتى أشتهى

عراجين حب وقرب وظـــل
ولكن بحر الرمـــال اللعين
يشـــد النجوم ... !!!

والتعبير بقوله : « عراجين حب » يفسر احساس الشاعر بالنهاية .. ولكنها ليست النهاية المفجعة .. فالأمل لم يزل نورا نحيلا فى قلب الأفق .. والجدب لم يئد خضرة الحيـــاة .. فما زالت للنخلة بقايا .. من الحب والقرب والظل والعطـــاء . والعرجون يوحى ببزوغ الأمل فهو مستوحى من قوله سبحانه

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

والقمر فى رحلته من الهلال الى التمام الى المحـــاق .. يعودنا شرا ضياءه كلما أكمل الدورة .. وهكذا رؤى الشاعر وعلاقته بأرضه خصبة الثمار مشرقة الخطـــا .

وفى قصيدة « أحدوثة العشـــق والدماء » يتغير المدلول الايحائى للفظ السلام .. فالسلام هنا أمنية .. وهنـــاك فى قصيدة « فصبر جميـــل » سخرية وتهكم من الواقع الجريح ولكن يجمع بينهما رغبة الشاعر فى احالة هذه الأمنية الساخرة الى واقع جديد ينعم فيه الكل بالأمن والخصب والرخاء .

وينهى الشاعر هذه القصيدة نهاية مصبوغة بروح السخرية والتحدى .. وهى نهاية تشبه نهاية القصيدة السابقة « سلام عابك» .

يقول متهكما ...

جرذان بيت الأرض عمى ..

والمبصرون استمسكوا بالميتة الوسطى .. !!!

وتبدأ قصيدة « ترى تأتى » بتساؤل ساخر ممزوج باستدعاء تاريخى آت من زمن البطولات .. ولكن هذه الأمجاد فى رؤية الشاعر حين تطالع زمن الشاعر ينطفىء ضوؤها وتصبح رقما على المـاء يقول الشاعر مستفسرا وساخرا :

ترى تأتى

أم ارتاحت مدينتنا على أنفاسنا الحبلى

برائحة الدم المقهور فوق مزارع الأسمنت ..

وغرس فى فجاج الأرض

ـ بعض من عمامات البوادى ـ

ورأس الفارس العربى ...
عند مداخل « الحمراء » فوق المـاء مخطوطة

والوطن هنا « أمنية » تتصادم مع الواقع •• ومشاهد الطبيعة الناطقة بالخصوبة كانت وسيلة الشاعر الفنية لتصوير هذه الأمنية/الوطن ، اذ يقول :

« أيا وطن تعلق فى رقاب الغيم ما سقطت به السحب »

وفى اختيار الشاعر لكلمة « الغيم » ايحاء بعدم وضوح الرؤية وتصوير للمعوقات التى تحول بين الشاعر وبين وطنه/الأمنية ، والسحب بما تحمل من خير يحيى موات الأرض والنفوس تفتح نوافذ الأمل ، وتبعث فى النفس صورة مشرقة لكيان النبوءة القادمة بالخصب والحياة •

والبحث عن الخصب تصوره القصيدة الأولى « أعيدى لى البحر » وهى من أنضج قصائد هذه المجموعة ، فانها تمتزج فيها الذات بالموضوع ، والرؤية الخاصة بالرؤية الشمولية •

والشاعر هنا يبحث عن الخصب ليشهد عرس الأرض •• وكأنه « عروس الأرض » الذى يسعى جاهدا ليراها وقد أخذت زخرفها وازينت •• وأنبتت من كل زوج بهيج ، والأرض هنا بؤرة رؤية الشاعر ومركز الدائرة فى تجربته ، ومعطيات الخصوبة تنضح بها لغة القصيدة معجما وزمنا وتراكيب بنائية ففعل

الأمر « أعيدى » مادته اللغوية تجسد حاسة الفقد التى ينوء بها كاهل الشاعر ، وزمن هذه المادة يأتى فى صيغة « الأمر » ، وهذه الصيغة الآمرة تترجم حرص الشاعر على امتلاك الذى فقده بكل الوسائل .. فالبحر مصدر العطاء ، والماء سر الحياة ، (وفى البحر شمسى .. وفى البحر بدرى .. وفى كل موج لنا سنبلة) .

ومعطيات الخصوبة يستمدها الشاعر من عناصر الطبيعة التى تشكل مع البحر عالما متكاملا (الطير ـ الريح ـ النخيل ـ القوارب ـ العاصفة ـ الموج ـ السنبلة) .

والشاعر لا يجعل من الخصوبة حلما يعز على التحقيق ، ولكن يؤمن أن خصوبة الحياة تحتاج الى الفوارس والخيول (ثلاثون ألفا من الخيل ماتت .. وما الأرض مالت) .

وقد كرر الشاعر لفظ « البحر » فى القصيدة عشر مرات .. وهذا التكرار يفسر رغبة الشاعر الجامحة فى العثور على منابع الخصوبة (وما أدراك الشاطىء المستحيل) .

ورؤية الشاعر للبحر هنا تخالف رؤية أبى ماضى للبحر فى طلاسمه ، اذ كانت تجربته تأملية فلسفية ، وتجربة « ناجى » فى قصيدة « خواطر الغروب » كانت رومانسية متشائمة ،

وموقف خليل مطران فى قصيدته « المساء » يكاد يتفق مع موقف ناجى لولا شـدة حساسية مطران ، وجموح انفعاله ، واندماجه فى الطبيعة واتحـاده بها أكثر من « ناجى » .

وموقف « ميخائيل نعيمـه » أمام النهر له ايحـاءان ، فالنهر المتجمد رمز لتجمد حيـاة الشـعب المقهور ، والنهر فى قصيدته التى ألفها بالانجليزية ثم ترجمها الى العربيـة ، منبع الحياة منه تبدأ واليه تعود .

ان الشاعر فى محـاولة استعادته للبحر .. لم يحلق فى الآفاق الرومانسية ، ولم يتوغل فى مفازات التأمل والفلسفة ، ولم يفن فى مشـاهد الطبيعة ولم يتخذ من مرائيها مرآة تعكس نفسيته وتبين عن ملامحها .. ولكنه أراد استعادة جمال الحياة فى صورة البحر .. وقد صور هـذه الحياة التى يريد فى هذا التشكيل الفنى البسيط :

عناقيد نجم ... لها البحر اذ تستوى سيدة
تعلمت فيها اشتهاء النخيـل
وشـباك عشق يهز الترائب .
وكالبحر تهتز فيه القـوارب
.... أعيدى لى البحر والعاصفة

ومن الظواهر الأسلوبية فى هذه المجموعة « تأثر الشاعر بأسلوب القرآن الكريم » وهى ظاهرة ملموســة فى كثير من مجموعات شعر « التفعيلة » وغيرها من الشعر المقفى ، والتأثر بالبيان القرآنى فى الشعر المعاصر تتعدد محــاوره وظواهره •

فقد يتأثر الشاعر بالبيان القرآنى صياغة وفكرا وشعورا ، ولبنات شعره حينئذ تستمد جرسها العذب من المعجم القرآنى ألفاظا وتراكيب ، ورؤيته الشعرية تنطلق من الآفاق القرآنية ، وتنبع من مقومات التصور الاسلامى للحيــاة : عقيدة وعبادة وعمــلا •

وقد يتأثر الشاعر بالمعجم القرآنى أى بألفاظه وتراكيبه ، ولا تشحن روحه بطاقة الايمان الدافعة ، وحينئذ يصبح التأثر شكليا أدائيا يظل بمنأى عن نسيج الرؤية الاســلامية الطامحة الى فعالية الوجود الحضــارى المسلم •

وأحيانا يكون التأثر سلبيا مضــادا ، وذلك حين يسيىء الشاعر استخدام الألفاظ والتراكيب القرآنية ، كأن يضعها فى غير مكانها اللائق ، أو أن يسوقها فى معرض السخرية والتهكم ، أو أن يحــاول ــ جهلا وغرورا وادعاء ــ محاكاة أســلوب القرآن العظيم ظنا منه أنه قادر على ابداع بيــان فى مثل البيان

القرآنى المعجز ، ومثل هذه المحـاولات تبوء بالفشل الذريع ، ولا تحظى الا بالرفض الكامل شكلا ومضمونا(*) .

وجاء تأثير الشاعر/ عزت جاد بالقرآن الكريم فى هـذه المجموعة بعيدا عن الاساءة للنص القرآنى .. وقد حالفه التوفيق فى اقتباساته القرآنيـة .. وقد حرص على وضع النصـوص القرآنية بين قوسين .. تمييزا لها .. وجاءت اقتباساته كما قلت فى مكانها الملائم من التجربة ، ودلل هـذا الاقتباس وذلك التأثر على قناعة « عزت جاد » بدور الاسلام فى اعـادة العزة الى وجه الأرض ، والى أن القرآن منبع الحق ومصدر العطاء .. وسر اعتدال ميزان الحياة .

وتجلى هذا التوفيق فى التأثر بالبيان القرآنى رؤية وأداء فى قصيدة « فصبر جميل » .. فعلى الرغم من تجربتها المباشرة حيث لا رموز ولا غموض .. وانما مواجهـة مع العـدو .. وتعاطف مع القضية الفلسطينية .. واستنهاض للعزائم لاسترداد الحـق المغتصب وقد اقتبس الشـاعر عنوان القصـيدة من « القرآن الكريم » (فصبر جميل) وهو مقتبس من سـورة

(*) لكاتب الدراسـة بحث مطول عن « أبعـاد الرؤية الاسـلامية فى الشعر المعاصر » وقد فصل القول فى هذه القضية .

يوسف عليه السلام ، وهذه العبارة نفسها هى التى نطق بهـا يعقوب عليه السلام حينما أخبره أبناؤه بأن يوسف قد أكله الذئب « وجاءوا على قميصه بدم كذب •• قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا •• فصبر جميل •• والله المستعان على ما تصفون » سورة يوسف آيه (١٨) •

وقد كرر الشاعر العنوان « فصبر جميل » بعد ذلك خمس مرات حيث ختم كل مقطع من مقاطع القصيدة بقوله « فصبر جميل » ونشتم من هـذا التكرار رائحة التحـدى لمغتصبى الوطن ، ونبصر كذلك فى مداها قوافل الأمـل ، وأضـواء الحق •• فلم يأكل الذئب يوسف •• كذلك لم يضع الوطن ، وارتد الى يعقوب البصر ، وكذلك الوطن يعود اليه نهاره •• وتشرق فى آفاقه شمسه •

وقد ألف المكان بين الوجـه والقنـاع •• بين الرمـز والحقيقـة •• فيعقوب كان فى الشـام ، والوطن السـليب « فلسطين » جزء من هذه البقاع ، وكان مستقر يعقوب وأبناءه •

وفى نهاية القصيدة يقتبس الشاعر من القرآن الكريم جزءا من آية وردت على لسان يعقوب عليه السـلام مفصحـا عن ذلك الأمل •

ويتلو من الذكر « بل سولت »

وقد وردت فى القصـــيدة اقتباسات قرآنيـــة كثيرة تفسر رؤية الشاعر وحسه الاسلامى .

يقول :

وانا رمينا عليـــكم بـ (نون)

« وما يسطرون » ... وذلك اقتبـــاس من بداية سورة « القلم » .

ويقول :

« ولملمت من كل حب وقضب وأب » .

وهو متأثر بقوله سبحانه فى سورة « عبس » .

« ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخـــلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، « ســـورة عبس » الآيات (٢٦ ـــ ٣١) .

ويقول فى سخرية مريرة مصورا حالة التردى والهزيمة :

وملت الى البحر .. والبحر سجد

والآية الكريمة « واذا البحار سجرت » تلقى بظلالها الملتهبة على الموقف الشعرى السابق .

وفى نهاية القصيدة يتأثر الشاعر بقوله سبحانه :

« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »
سورة يس آية (٨٢) .

فيقول « وانا سنرمى عليكم بـ « كن » وانا سنرمى عليكم بـ « يكون » .

ويقول الشاعر الى بيت لحم « قعوا ساجدين »

وهذا التعبير مقتبس من قوله سبحانه فى سورة « ص » فى سياق قصة آدم وتمرد ابليس « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » سورة ص آية (٧١) .

وفى ختام قصيدة « ترى تأتى » يصـور الشاعر لحظـة الصراع بين الواقع/الأمل ، والواقع الآسن ، ويستوحى مشهدا من قصة الطوفان .. وهو المشهد الأخير وكأنه يعقد مقارنة بينه وبين نوح .. ويبلغ ذروة التشاؤم حينمـا يفقد الطريق الى المستقبل/الابن ، ويدين الواقع المتجسد فى شخصه هو ويعلن أنه قاتل « أمله ومغتال » غده ، وقد تكون هـذه اللحظـة « الدرامية » ادانة من الشاعر للواقع الهارب من غده فى صورة الذين لا يسعون الى ارساء السلوكيات الحضارية فى الحياة ..

وهـم بذلك يقضـون على اسـتمراريتها •• وتحولهـا الى الأنقى دائما •

يخاطب الشاعر الغد/النبوءة •• متجسدا فى رمز الابن •• وهو يدين المـاضى/الجمود ، ويثور على الحـاضر/الوهن ، والنهر المسموم •• فيقول :

تـرى تـأتى •••• !!
وتشرب ما بآنيتى
وتجزع نهرنا المسموم •••
••• بالأوجاع والخطب الخرافية ،
تـرى تـأتى •••• !!
وتسرى فى شراييني
تفتش عن دمى المسروق من أبتى
تـرى تـأتى !!
وتفتح فى مواجهة الغد المقتول نافذتى
« ويا أرض ابلعى » دمك
ويا سـما ••••
ولن تأوى الى جبل

لأنى يا وليدى قاتلك !!!

***

وفى قصيدة « ظلال النهر » لا يقتبس الشاعر اقتباسا صريحا من القرآن ولكن يكتفى بالاشارة الى قصة يوسف عليه السلام •• وهو فى هذه الاشارة يومىء الى قدرة يوسف عليه السلام على تفسير الرؤى •• والشاعر يصور فى قصيدته رؤيا ، وقد صاغها فى ثوب أسطورى يستوحى جو الأساطير •• ويوغل فى « اللاوعى » ، ومسارب الخيال •• وما وراء الطبيعة ، يقول فى احدى مقاطع القصيدة ومشاهدها :

وبين القمح والزيتون ثعبان
يراودنى
ويركض خلف أسوارى
ينادينى ••• فأبتهل
يلاحقنى برؤياى •• فأنتفض
فيخنق ظله صدرى •• فأنقبض
وألقى رؤيتى صرعى •• بلا جد ، ولا يوسف •

وقد جمع الشاعر فى السطر الشعرى السابق بين الحس الدينى •• والحس الشعبى فالأحلام كان الجد يفسرها •• وكانت الجدة تحكى للصغار الأساطير العجيبة وتفسر للكبار وللصغار أحلامهم ، ورؤاهم •• ويمكن أن يكون هذا الاستدعاء للخيال احدى ظلال النهر التى يحاول الشاعر أن يفيىء اليها •

وأما « الحس الدينى » فيبدو فى استدعاء الشاعر لشخصية يوسف •• وهذا الاستدعاء يفسر رؤيا الشاعر •• ويجعل بينها وبين رؤيا « الملك » فى زمن يوسف علاقة نفسية وفنية •• فمصدر وطن الشاعر •• وخصوبتها وحريتها هدفه الأسمى •• ورؤيا الملك فسرها « يوسف عليه السلام » تفسيرا عاد بالنفع على مستقبل مصر وجعلها تنتخب « السبع العجاف » ، والثعبان الذى ورد فى قصيدة الشاعر تجسيم للخطر القادم •• انه يقحم نفسه وينفث سمه فى القمح والزيتون ، والقمح يرمز للخصوبة والنماء •• والزيتون يرمز للأمن والسلام •• لكنما الثعبان فى رؤيا الشاعر وتجربته وفى الواقع أيضا يغتال الخصوبة وينشر الفزع •• ويبقى الوطن نهبا للجوع •• وفريسة للخوف •

ويصور الشاعر موقفه •• وهو يكاد يستسلم لهذا الخطر •• ولكنه فى النهاية يعتصم بالقرآن •• واعتصامه

بالقرآن مقتصر على نزعة الرضـــا بالواقع •• والتسلى ببقايا المتع • ولو كانت فنجانا من السكر !!! والاكتفــاء بأحــلام تمتطى صهوة الغد ••• !!!

يقول مازجا الخوف بالرجاء •• والقوة بالضعف :

•••• وألف من بنات الحور خلف السور تنتظر
وتمضى خلف أسحارى
ثريات من الأحلام تحترق
أنا أسلمت راياتى
وأناتى ••• ترامى فوقها الشفق
كفــانى دفء شــطآنى
وقــرآنى
وبعض من تسابيحى
وفنجــان من السكر
وحلم يمتطى غدنا ••• ولا أكثر

ويتأثر الشاعر بطريقة النظم القرآنى •• فيبدأ قصــيدته « صفحة من كتاب الحب والنور » بأسلوب القسم اذ يقول :

والحب ان يغش المدى

والقلب أن يوما عدا

وهذا القسم فى صياغته متأثر بالأقسام القرآنية فى أوائل السور .. القصـــار مثل سورة « الليل » ، وسورة « الفجر » ، وسورة « الشمس » .

وفى القصـــيدة نفســـها يقتبس الشـــاعر آية من ســـورة « الواقعة » ، وجزءا من آية فى سورة « النمل » ، وجزء من آية فى سورة « القمر » .. وهى ترد على التوالى فى المقطع التالى يقول :

« والسابقون السابقون » .. (ســـورة الواقعـــة آية ١٠)

السائحون العمر فى واديك يا بدر البدور

كان البنفسج فى روابينا يدور

ان الملوك اذا أتوا (سورة النمل آية ٣٤) .

راح الجوى يرمى بضاعته ...

على طفلى الذى يعدو بسلته القديمة ...

... خلف حبـــات المطـــر

« فى يوم نحس مستمر » ... (سورة القمر آية ١٩)

وفى القصيدة نفسها يوظف الشاعر التراث مضيئا تجربته بايحاء قصة « الخضر » التى ورد ذكرها فى سورة « الكهف » ولكن استغلال الشاعر الفنى لرمز الخضر لم يتوافق مع ايحائه القرآنى .. وذلك يتضح فى الاستدراك الذى أعقب به الشاعر قوله « والخضر جاء » حيث قال مستدركا « لكن ... مازال الجدار » !!!

والاستدراك كما يقول أهل اللغة « اثبات ما يتوهم نفيه أو نفى ما يتوهم ثبوته » وأراد الشاعر باستدراكه نفى ما ثبت فى الأذهان عن اقامة الخضر للجدار الذى أراد أن ينقض — برغم أن أهل القرية أبوا أن يضيفوا موسى والخضر — .

وعبارة الشاعر « مازال الجدار » مبهمة .. فلا ندرى .. هل الجدار مازال منقضا ؟ أم مازال قائما .. أم أنه لم يزل .. والى أى بعد من أبعاد التجربة يرمز « الجدار » ؟

***

ومن الظواهر الأسلوبية فى هذه المجموعة الشعرية

« تعامل الشاعر مع الزمن » ، وقضية الزمن بأبعادها المتشعبة تدخل فى اطار الرصد الجمالى للتجربة الشعرية ، والزمن اللغوى يدخل فى نسيج التكوين الفنى للنص ، ومكونات الزمن وظواهره الكونية تشارك فى رصد رؤية الشاعر وموقفه .. « فالزمان أو الدهر كالظرف الخارق السعة تتحرك داخله الكائنات ، وتقع فى فضائه الوقائع ، فليس ثمت موت أو حياة ، ولا سكون أو ثبات ، ولا آلام أو مسرات خارج هذه الظروف » .

وتتعدد أبعاد الزمن فهناك الزمن اللغوى .. والزمن الاجتماعى .. والزمن الطبيعى .

والبنية اللغوية فى بعض تجارب الشاعر تجسد احساسه بالزمن ، وتعلن عن كثير من آفاق التجربة .

وقصيدة « عروس الأرض » التى اختار الشاعر عنوانها.. مسمى لديوانه .. وكان موفقا فى هذا الاختيار .. فالأرض هنا « بؤرة » رؤية الشاعر .. ومركز الدائرة فى تجربته ، فلا تكاد تخلو قصيدة من ذكر لفظ « الأرض » تلميحا أو تصريحا .

وتجربة الشاعر فى « عروس الأرض » تتحرك داخل اطار

الزمن المتصاعد ايماء الى تفاعله مع الواقع .. واعتناقه لمبدأ التمسك بالأرض ، وحركة الزمن المتصاعد تصورها الأفعال المضارعة المتوالية فى كل سطر شعرى على النحو التالى :

(يجيىء — تقعى — يهيج — يقول — يهوى — تفرح — تصير — يغلى — يذوب — يذوب — يهرب) .

ومن دلائل صدق التجربة الفنى ، وعمق احساس الشاعر اللغوى بالزمن أن الفعل الماضى لا وجود له فى عالم « عروس الأرض » ، وفعل الأمر لم يرد الا مرة واحدة فى قوله:

« اليك الأرض والسحب ... فعجل »

وهذا ليس أمرا لاقتناص أمنية هاربة من حضور الفعل ، ولكنه اشارة البدء لجنى ثمرة الحركة الفاعلة .. وهى الأرض بما فيها من خصوبة الطمى .. ومواسم الخير التى تغرد لها العصافير ، وفروسية النهر الذى يمتطى صهوة الأفق ، ويعود بالمزن الحوامل مبشرا الأرض بالثمر الوليد ، وعروس الأرض يحمل كتفيه .. وفى عينيه .. الأرض والسحاب .

ومفردات العرس .. والخصب .. والعشق تغمر التجربة

من جميع جوانبهـا ولا تظل المفردة الشـعرية أسيرة المدلول المعجمى •• بل تشع فى سياقهـا بايحـاءات ثرية تعمق التجربة وتزيد من خصوبتها •• وهذه المفردات المشعة فى آفق النص •

الطمى ــ العصافير ــ الأشجار ــ النهر ــ القوارير ــ المطر ــ الطائر ــ السحب ــ الأرض وقد تكررت أربع مرات •

••• ولنتأمل ملامح الأرض •• وعروس الأرض •• فى هذا التصور الشعرى :

يجيىء الطمى ترتيــلا
عصافيرا •• عصافيرا
وتقعى فى جذور الصمت عصفوره
يهيج الكون أشــجارا
يقول الفارس ــ النهر ــ الذى يمشى على أربع
لى الدنيا •• فيهوى من قواريرى المطر
فتفرح فى مهاد الأرض ليمونة
تصير الأرض قنينة •••
فيغلى طائر فينا

اليك الأرض والسحب ... فعجل ...

... أنا ... أنت ...

... ويهرب من مآتمنا عروس الأرض

« و عروس الأرض » فى دائرة التعامل مع الزمن الكونى له ليلتان فى رؤية الشاعر « ليلة العرس ، وليلة الحزن » .

« والعرس » لا يظل أسـير المدلول اللغوى ولا العرف الاجتماعى .. ولكنه يتجاوز هذين السورين المنيعين ، وتصبح الشهادة عرسـا ، وربما كان اختيار الشاعر لليلة الاثنين تأثر بالمعطى الشعورى والدينى لهذه الليلة ، فيوم الاثنين من الأيام المباركة فى الاسلام .. ففيه ولد الرسول عليه السلام .. وكان مبعثه فى مثل ذلك اليوم ، وكذلك كان يوم وفاته ، وله فى وجدان كل مسلم عبق ايمانى صادق نفاذ .. والقصيدة نفسها « ليلتان » تعبق بهذا الايحاء :

ليـلة الاثنـين

كان ليلى بين بين

كانت الدنيا أنا والحسنيين

كانت الأقمار تنبى عن شهيد

وحين يؤكد الشاعر مصاحبته للدنيا فى دائرة « الحسنيين » فهو يؤكد عشقه للوطن ودفاعه عن الأرض •• فهو لا يحيد عن الحسنيين •• (النصر أو الشهادة فى سبيل الأرض) •

والعرس فى ليلة الاثنين •• يصبح عرسا كونيا تأخذ الأرض فيه أبهى زينة لها ، والصورة التالية ترسم ملامح ذلك العرس أو « تصور عروس الأرض » وتعرض ملامح هويته •• وهى ملامح تتشكل من المعطيات الايحائية لمفردات الخصوبة والعطاء والصدق والحب •• ومعالم الخصوبة فى التجربة تأخذنا الى مداها لغة الشاعر ومفرداته الشعرية •• (السنابل ــ الريحان ــ الأمطار ــ الأزهار ــ العطر) •

يقول :

جئت من فيض السنابل

جئت يا ريحان بابل

أنثر الأحلام فى وجه الوليد

فوق أهداب الجريد

جئت فى الأمطار مذ كان الوجود

قطعة حمراء ••

جئت من الأمطار أزهارا

جئت فى الأزهـــار أطوارا

ضــــاربا فى الكون عطرى

أنفض الأحزان عن وجه المدينة

واختيار زمن الليلة الأخرى وهو « السبت » ربما يرجع الى ما استقر فى الوجدان الدينى والحس الشــعبى من أن السبت « عيد اليهود » .. وهــذه حقيقة كائنة ، « وعروس الأرض لا ينسى مأساة أمة بأكملها سلبها اليهود أرضها وزمنها وأحلامهـــا ، ولا ينسى المقدســـات أرض المعـــراج ، ولا ينسى ملاحم النضال ، وآلاف الشهداء .. وهو أولهم فى سبيل اقامة العرس الأكبر ، عرس الحرية يوم تعود أرض الاسراء الى فلكها سابحة فى مدار المجد والكرامة والحرية .

وصور الشاعر معجمه الشعرى وتراكيبه اللغويـــة تحيل هذا الايحاء الى واقع ملموس تصوره هذه الايقاعات التى تجىء تراكيبها اللغوية فى دائرة الزمن المـــاضى ايحاء برفض الشاعر لذلك الواقع الكريه الذى أفقده حريته وأمنه .

والأفعال المـــاضية توالت لتحكى قصة هذه المـــأساة .

(ضاع ـ جاء ـ قال ـ خاب ـ حط ـ نام ـ طار ـ هـــلل) .

يقول الشاعر :

ليـــلة السبت الحزينـــة
ضاع قلبى فى المدينـــة
جاء فى « السبت » الغراب
قال •• يا قوم اسجدوا
حط سرب الحب فى الأرض الخراب
نام طفلى تحت سياف النهار

وفى قصيدة « ظلال النهر » يسيطر الزمن الآنى على جو التجربة •• فهى فى صياغتها تنزع الى التصـــوير الأسطورى ، والأسطورة تخاطب شعرى تنمو مع الزمن •• وفى كل زمن لها ايحاء •• والشاعر لم يتكىء على أسطورة قديمـــة ويوقظها فنيا ولكنه حاول صنع أسطورة فى قصيدته « ظلال النهر » ، وتحقيقا لرغبة الشاعر فى الاحتماء بظلال النهر •• نجد أن الفعل المضارع يرد فى القصـــيدة (٣٠) ثلاثـــين مرة •• ولم يرد المـــاضى الا خمس مرات •• ولا وجود لفعل الأمر مطلقـــا •• وكأن الشاعر فى صراعه مع الواقع/الثعبان ، وفى بحثـــه عند منافذ الخـــلاص •• لم يجد فسحة لتصـــور المستقبل •• وشـــده المـــاضى فى نهاية القصيدة •• فاستسلم قائلا :

أنا أسلمت راياتى

وأناتى ترامى فوقها الشفق

والزمن اللغوى فى قصيدة « يجيىء القمر » يتعانق مع رغبة الشاعر فى معانقة القمر فالأفعال المضارعة الدائرة فى فلك الزمن الآنى والمستقبلى تسيطر سيطرة كاملة على ايقاع القصيدة الزمنى •• فقد تكرر الفعل المضارع ستا وعشرين مرة ، ولم يرد الماضى الا مرة واحدة ، والأمر لم يرد الا أربع مرات •

« والقمر » معادل موضوعى للمحبوب ، والشاعر يغنى فى ذلك المحبوب فناء يقترب من فناء الذات فى الكل ، وفناء الصوفى فى الوجود والمعبود ، فعاطفة الحب تسمو فوق الرغبات الدنيا ، ان الحب متوهج فى حضور المحبوب وفى غيابه ، وقد حرص الشاعر على افراغ كل ما فى وجدانه تجاه هذا المحبوب •• فأتى بمقابلات كثيرة بين صور متناقضة لواقع ذلك المحبوب فى نفسه •• فقال مؤكدا هذه المقابلات بصياغته الزمنية حيث صاغها فى قالب الجمل الاسمية الناطقة بالثبات ، وصيغة الخطاب الشعرى عبرت الى المتلقى عبر ضمير المخاطب •• « أنت » مكررا سبع مرات •• وتآزر الايقاع الشعرى مع الزمن اللغوى مع صيغة الخطاب فى تجسيم عاطفة الشاعر تجاه

ذلك المحبوب .. فقارىء الشعر لابد أن يواصـــل قراءته لجمل الخطاب الشعرى بدون توقف .. حتى لا يتوهم البعض أن الوزن الشعرى مضطرب .

يقول الشاعر :

... أنا والجمال نذوب اشتياقا

... وأنت التنـــائى ...

... أنت التـــلاقى ...

... أنت انبعـــاثى ...

... أنت اندثـــارى ...

... أنت الظـــواهر ...

... أنت الجـــواهر ...

... أنت العطور على ثغر بابل

قطـــار يســـافر

* * *

والتكرار من سمات أسلوب الشاعر .. وهو يكثر منه اكثارا يضر بالتجربة الشعرية أحيانا ، ويوقعها فى شرك الشرح

والتفسير ، وما أبعد الشحنة الشعرية عند ذلك التفسير الذى يطفىء نارها المبدعة ٠

وقد كرر الشاعر ضمير الخطاب « أنت » سبع مرات ، وكأن ذلك اشارة الى أنها الزمن كله ٠٠ فالزمن سبعة أيام تتكرر باتنظام ٠

وقد كرر لفظ « رويدا » فى مفتتح القصيدة ست مرات ٠٠ وليس لذلك مبرر فنى ٠٠ وكرر عبارة « يجىء القمر » (٤) أربع مرات ، ولم يذكر عبارة « يغيب القمر » الا مرة واحدة ٠٠ وربما يوحى هذا برغبة الشاعر فى معانقة معطيات رمز القمر ، ونفوره من غياب هذا الرمز المضىء ، حتى لو غاب فان ايحاءه لن ينطفىء فى نفسه ٠

وفى قصيدة « لن أموت يا رفاق » يكرر الشاعر جملته الشعرية « تفتشون عن قمر » مرتين والقمر هنا هو « عروس الأرض » ٠٠ هو الذى يقاوم الأفول ويستعصى على الانطفاء ويضع الشاعر « غياب القمر » فى دائرة الشك ويصوغه فى أسلوب الشرط مصحوبا بالأداة « ان » وهى تدل على الشك فى وقوع الشرط ٠٠ وبالتالى يقع الجواب فى هذه الدائرة ٠٠ وقد كرر جملة « لن أموت يا رفاق » (٤) أربع مرات عدا العنوان ٠

يقول الشاعر :

لن أموت يا رفـاق
وان أمت يضـل نجمكم
يخر كالذبيح فى مآتم الصنم
وتقبعون فى مداخل المدائن الحزينة
تفتشـون عن قمـر
وتسألون ... لا خبر
وترحلون تنفضون حومة الغمام والبحار
ودمعة النهار فى أزقة المدار
تفتشـون عن قمـر
وتسألون ... لا خبر
لأجلكم .. لن أسلم المنون هامتى
ما دمت فارس العنـاق ...
... ليـلة السـباق ...
... لن أموت يا رفـاق

وفى قصيدة « فصبر جميل » يكرر الشاعر عبارة وفى القدس ، أربع مرات •• وهذا التكرار مرتبط بالزمن اللغوى •• فقد ورد الزمن المجسد لواقع القدس فى حالات أربع وصور متعددة : ففى الصورة الأولى يأتى الزمن الماضى « وفى القدس شابت عيون المآذن » وفى الصورة الثانية •• يأتى الزمن فى صيغة المضارع المنفى « وفى القدس لا يزرع الناس أرزا » وفى الصورة الثالثة •• يأتى الزمن فى صيغة المضارع المثبت « وفى القدس ينمو رفات الضحايا » وفى الصورة الرابعة •• يأتى الواقع فى صورة الثبات من خلال التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام « وفى القدس نهر الدم المستباح » •

وكأن الشاعر بهذا التكرار المرتبط بالزمن المتباين يرسم خطا بيانيا لواقع القدس فى العصر الحديث وهذا الواقع مر بمراحل أربع •• مرحلة الضياع وهى ما ينطق بها الزمن الماضى الذى وقعت فيه المأساة ، والمرحلة الثانية •• تصور الواقع الأليم وهو واقع مرفوض ولذلك جاء فى قالب المضارع المنفى ، المرحلة الثالثة تصور الواقع المناضل وملاحم المقاومة ولذلك جاء فى قالب المضارع المثبت ، والمرحلة الرابعة •• تصور العزيمة على استمرار النضال •• وحتمية الصراع •• وثبات

المجـالدة ولذلك جاءت صياغة هـذه المرحلة فى قالب الجملة الاسمية •• ايحـاء بثبات المبدأ وعدم انقطاع الحـدث •• أو توقفه •• أو تغيره •• والطريق الى الحرية لن يجتازه طالبوها الا بالاصرار والثبات مهما كانت العقبات والمعوقات .

وفى قصيدة « أحدوثة العشق والدماء » يرد لفظ الأرض ثلاث عشر مرة ، ويرد لفظ « الدم » تسـع مرات •• وهـذا التكرار للأرض وللدم •• يفسر رؤية الشاعر وتصـوره للعلاقة بين الأرض •• والدم •• فهى علاقة مصيرية •• فالدم يبذل فى سبيل عشق الأرض •• وتبدو هنا العـلاقة القوية بين الخط الشـعورى فى هذه القصـيدة وبين عنوان الديوان « عروس الأرض » ، وكذلك فى قصيدة « فصبر جميل » حيث يصف واقع القدس المستقبلى •• انه واقع التصـادم والصراع والثبات على الانتفاضة فقد وعدهم الله باحدى الحسنيين « وفى القدس نهر الدم المستباح » ، وهذا الخيط النضـالى يبدو أكثر وضوحا فى قصيدة « ليلتان » اذ يقول الشاعر معلنا عن هويته النضالية

كانت الدنيا ••• أنا والحسنيين •• (وهما النصر أو الشهادة)

كانت الأقمـار تنبى عن شهيد

***

وتسيطر على الشاعر النزعة القصصية فى كثير من قصائده •• ويكاد يقترب من ابداع القصة/القصيدة أو القصيدة/القصة •• وهى نزعة فنية تكسب العمل الشعرى طابعا دراميا ينأى به عن « الغنائية » أحيانا •• والشاعر لم يتعمد انشاء قصة شعرية •• ولكن صياغته اللغوية تعطى لبعض تجاربه الحس القصصى •• مثل قصيدة « دوار » وقصيدة « ظلال النهر » •

وقصيدة « من بساتين السقوط » •• تجربة ذاتية يرثى فيها الشاعر والده •• واستطاع أن ينجو من قفص الذات •• ويرسم ملامح شخصية الأب وأبعادها •• وهى ملامح انسان الأرض الذى يبحث عنه الشاعر فى باقى تجاربه •• فهو الفارس الأوحد وهو السارى الظمآن •• وهو الذى يؤثر من أكثر منه ظمأ على نفسه •• ولم يسرع الى المـاء لهفة وطمعا ، وهو الذى هبت فى شمائل أبنائه نسائم عطره الفواح ، وقد كرر الشاعر جملة « وكان الحلم »ست مرات ، وفى كل مرة يشكل الحلم مشهدا من مشاهد هذه التجربة ، ويلاحظ أن الشاعر فى صوره الشعرية يأتى بها غالبا فى صورتها البسيطة •• وأداة التشبيه التى يوظفها كثيرا ما تكون « الكاف » وفى هـذه القصيدة جاءت ست صور متلاحقة على هذا النحو •

(كمر الطيف ــ كحد السيف ــ كنهر فى جوانبــه ــ كبستان ــ كسحر العالم الأخضر ــ كسوط المـارد الجبار) .

والشعر يحيا بوجود الصورة الشعرية ، ويتوهج بالنبض الايقاعى ، والموسيقى الحيـة ، وهـذه الصورة تفيض بهـا المخيلة الحرة البصرية لا المخيلة المقيدة السماعية ، فالصـورة البصرية أكثر ايحاء وانطلاقا من الصورة السمعية .

وهـذه المجموعة الشعرية تحفل بكثير من الخصـائص الفنية ، وصاحبها يمسك بزمام الفن الشعرى ، ويقبض على جمرة الابداع ، وهى شرارة ابداعية يطلقهـا فى أول الطريـق .. وما عليه الا أن يخوض أفياء نيران العالم الشعرى..وسيكتشف آفاقا ابداعية أرحب وسيتجنب كثيرا من عثرات البدايـة .. ويكتشف أن الشعر كما يقول « شيللى » يعبر عن ذلك التنسيق اللغوى ، وخاصة اللغة الموزونة التى تخلقها تلك القوة الروحية التى يختفى عرشها وراء طبيعة الانسان الخفية .

الفهــــرس

الصفحة

الصفحة

● صدر من هذه السلسلة

١	ــ شوارع تنام من العاشرة	(قصص)	أحمد محمد حميده
٢	ــ باب الريح	(قصص)	نبيه الصعيدى
٣	ــ حكاية عروسة البحر	(شعر)	حجاج الباى
٤	ــ الدم وشجرة التوت الأحمر	(رواية)	محمد عبد الله عيسى
٥	ــ وقائع موت الجياد	(شعر)	عصام الغازى
٦	ــ الشاطر حسن ٠٠ يخيب	(قصص)	عبد المنعم الباز
٧	ــ ٠٠ وعائد اليك	(شعر)	المنجى سرحان
٨	ــ مهزلة عائلية	(مسرحية)	جمعة محمد جمعة
٩	ــ قصاصات حب	(قصص)	اسماعيل على
١٠	ــ تاريخ يؤرقه الظمأ	(شعر)	مشهور فواز
١١	ــ بقايا انتظار	(قصص)	عبد الفتاح منصور
١٢	ــ اعدام قيس بس الملوح	(مسرحية)	محمد عبدالعزيز شنت
١٣	ــ نقوش الدم	(رواية)	رجب سعد السيد
١٤	ــ تأملات فى وجه ملائكى	(شعر)	عبد الله السيد شرف
١٥	ــ الصعود الى القصر	(قصص)	مصطفى الأسمر
١٦	ــ اغتراب ٠٠	(شعر)	ناجى عبد اللطيف
١٧	ــ والفجر	(قصص)	جمال نجيب التلاوى

١٨	ــ فيضا يكون العشق	(شــعر)	عبد المجيد أحمد
١٩	ــ حكاية الديب رماح	(قصــص)	خيرى عبد الجواد
٢٠	ــ خديجة بنت الضحى الوسيع	(شـــعر)	سماح عبد الله
٢١	ــ فارس آخر زمن	(مسرحية)	حسن شلنده
٢٢	ــ شهر زاد	(شـــعر)	نجــوى الســيد
٢٣	ــ من ثقب الحزام	(قصــص)	محمد هويدى
٢٤	ــ العطش	(قصــص)	فاروق الأفندى
٢٥	ــ الزحمـــة	(شـــعر)	نصر الدين رحمى
٢٦	ــ تداعيات العشق والغربة	(شـــعر)	صلاح والى
٢٧	ــ السيف والوردة	(قصــص)	حســن الجــوخ
٢٨	ــ رحيـــل م٠م	(شـــعر)	مهدى محمد مصطفى
٢٩	ــ تراب على وجه القمر	(قصــص)	رشدى أحمد معتوق
٣٠	ــ بلغنى أيها الملك	(مسرحية)	فتحى فضـــل
٣١	ــ الديك فى السيارة	(قصــص)	محمد السيد سالم
٣٢	ــ أبنـــاء النهر	(قصــص)	على عيـــد
٣٣	ــ وحتما سيعود	(مسرحية)	أحمد أبو سديرة
٣٤	ــ بقايا شموع	(شـــعر)	محمـــمد فـــرج
٣٥	ــ بيت آل شحات	(مسرحية)	جمـــال فاضـــل
٣٦	ــ الليلة ٠٠ نحكى	(مسرحية)	مجـدى الجـــلاد
٣٧	ــ وجه العـــالم	(قصــص)	سعيد عبد الفتاح
٣٨	ــ فصل من التاريخ الخاص	(شـــعر)	حـزين عمـــر

٣٩	ـ النورس	(قصص)	ابتهال سالم
٤٠	ـ فصول من كتاب الليل	(شعر)	فؤاد سليمان مغنم
٤١	ـ رجل فى الظل	(قصص)	عبد الفتاح يونس
٤٢	ـ الجلوس خلف الأبواب	(مسرحية)	محمد الشربينى
٤٣	ـ التائهون	(قصص)	كاميليا كمال الدين
٤٤	ـ العيون الملهمة	(شعر)	محمد عوض عبد العال
٤٥	ـ قمر بوبا	(قصص)	ابراهيم فهمى
٤٦	ـ الميلاد وحكايات الخريف	(شعر)	يس الفيل
٤٧	ـ الرقص فوق البركان	(قصص)	حسين البلتاجى
٤٨	ـ موسم زرع البنات	(شعر)	كوثر مصطفى
٤٩	ـ تنويعات على رأس رجل محبط	(قصص)	عزت عبد الوهاب
٥٠	ـ أزهار برية	(شعر)	عبد الشافى داود
٥١	ـ انتظار	(مسرحية)	محمد فكرى
٥٢	ـ ورقة من بطاقتى	(شعر)	النبوى سلامة
٥٣	ـ ماسار	(مسرحية)	أنور جعفر
٥٤	ـ الخيل والليل وزهرة البنفسج	(شعر)	محمد هاشم
٥٥	ـ طائر الحب	(قصص)	اسماعيل بكر
٥٦	ـ الخروج واشتعال سوسنة	(شعر)	عبد الناصر هلال
٥٧	ـ العاشقون	(قصص)	نعمات البحيرى
٥٨	ـ طالعين لوش النشيد	(شعر)	طاهر البرنبالى

٥٩	– أرجوكم ارحلوا	(قصص)	جمال بركات
٦٠	– آخر ما قالته الملكة	(شعر)	طه حسين سالم
٦١	– عيون الدهشة والحيرة	(قصص)	محمد عبد الله الهادى
٦٢	– نور النار	(شعر)	فؤاد حجاج
٦٣	– عندما جاءت الأمطار	(رواية)	ابراهيم محمود حمدى
٦٤	– أغنية أولى	(شعر)	عماد غزالى
٦٥	– للمدينة وجه آخر	(قصص)	زكريا السيد عبيد
٦٦	– خلف جبال الشمال	(شعر)	اسماعيل أبو زيد
٦٧	– من يضحك كثيرا	(قصص)	هشام قاسم
٦٨	– قلبى وأشواق الحصار	(شعر)	عيد عيد صالح
٦٩	– يوميات خلود	(قصص)	خالد الصاوى
٧٠	– النبوءة	(شعر)	هشام أبو زيد
٧١	– قبل الخروج من الطابور	(قصص)	سعد عبد الحميد
٧٢	– لبلابة فى القمر	(شعر)	مصطفى النحاس أحمد
٧٣	– من ديوان العشق	(قصص)	سمير فوزى
٧٤	– كائنات فى انتظار البعث	(شعر)	محمد السيد اسماعيل
٧٥	– أرخص الدموع	(قصص)	السيد الجندى
٧٦	– شوقا اليك	(شعر)	سعد عطية
٧٧	– الولوج فى دائرة التيه	(قصص)	معصوم مرزوق
٧٨	– قدمت للحب استقالة	(شعر)	ياسر قطامش
٧٩	– الآخرون وأغنية للضحى	(قصص)	سيد عبد الخالق

٨٠	ـ الدق ع البيبان	(شــعر)	محمد صابر مرسى
٨١	ـ رائحة الزهور البرية	(قصــص)	صـالح الصياد
٨٢	ـ مسافة الحلم	(شــعر)	مؤمن أحمد
٨٣	ـ فوق شجرة ما	(قصــص)	ناهد عز العرب
٨٤	ـ عناقيد الشمس	(شــعر)	رجب الصاوى
٨٥	ـ مربط الفرس	(مسرحية)	سليم كتشنر
٨٦	ـ سندريلا وأحلام سندباد	(شــعر)	محمد عبدالرازق زشيرى
٨٧	ـ المصفقون	(قصــص)	حمدى البطران
٨٨	ـ ندهة من ريحة زمان	(شــعر)	ســمير الفيــل
٨٩	ـ حلم أطفال	(قصــص)	خيرى السيد ابراهيم
٩٠	ـ صفحة من كتاب العشق	(شــعر)	محمد العتر
٩١	ـ صباح فى المخيم	(قصــص)	سناء محمد فرج
٩٢	ـ حال من الورد	(شــعر)	عبد الحكم العلامى
٩٣	ـ الأشجار تعرف الحزن	(قصــص)	عبد الحميد الفداوى
٩٤	ـ خروجا على النص	(روايــة)	فراج عبد العزيز
٩٥	ـ ثقب فى جدار الذاكرة	(قصــص)	أمين الصيرفى
٩٦	ـ ٣ ألحان من عيونك	(شــعر)	محمد الغيطى
٩٧	ـ الحياة مرة أخرى	(قصــص)	د ٠ بدوى مطر
٩٨	ـ فى انتظار الشمس	(شــعر)	أحمد محمود مبارك
٩٩	ـ يوميات النبأ العجيب	(قصــص)	سمير المنزلاوى
١٠٠	ـ ليالى الحب والغربة	(شــعر)	محمود يونس

١٠١ ـ العبور من ثقب الابرة (قصص) أحمد عبد الله متولى
١٠٢ ـ صياد فى بحر الكلام (شعر) محمد مكيوى
١٠٣ ـ العمر ٥ دقائق (قصص) صلاح معاطى
١٠٤ ـ أحزان البطريق (قصص) مجدى البدر
١٠٥ ـ ومن يوقد أعواد الثقاب (قصص) وجيه عبد الهادى
١٠٦ ـ الحقيقة والوجه الآخر (قصص) مصطفى عبد الشافى
١٠٧ ـ هموم امرأة متحررة (قصص) محمد القصبى
١٠٨ ـ الخنـدق (مسرحية) فاروق عطية
١٠٩ ـ العصافير لاتعشق الطيران (قصص) ابراهيم عيسى
١١٠ ـ فى الصباح نلتقى (شعر) محمود خليل
١١١ ـ جذور متناثرة (قصص) سمية عريشة
١١٢ ـ الجسد والحلم (قصص) محمد الحمامصى
١١٣ ـ الزفة (قصص) محمد شاكر الملط
١١٤ ـ موسيقى لعينيها (شعر) سمير درويش
١١٥ ـ حلم كائن بسيط (قصص) ربيع عقب الباب
١١٦ ـ ليلة عرس سوداء (مسرحيات) سعيد حجاج
١١٧ ـ الأرز والبارود (قصص) فريدة أحمد
١١٨ ـ أصداء حائرة (شعر) ياسر محمود
١١٩ ـ عود ثقاب (قصص) فريد معوض
١٢٠ ـ الدق على أبواب الآتى (شعر) د. عبدالحميد عبدالهادى حسن

١٢١ ـ لعبة التشابه	(قصص)	منار فتح الباب
١٢٢ ـ اعترافات عاشقة قروية	(شعر)	بهية طلب
١٢٣ ـ النذير	(قصص)	بدر عبد العظيم
١٢٤ ـ أيام فى حضن الليل	(شعر)	حورية البدرى
١٢٥ ـ تداعيات زمن السقوط	(قصة)	محمد وهبه
١٢٦ ـ الجبل الشرقى كفر الهلالى	(رواية)	سمير شحاته عزيز
١٢٧ ـ عندما انهارت أواريس	(مسرحية)	نسيم ابراهيم يوسف
١٢٨ ـ عينى عليك يابلد	(شعر)	ثريا مصطفى
١٢٩ ـ قلوب فى العاصفة	(رواية)	عبد الحميد خليفة يونس
١٣٠ ـ الذباب لا يلفظ عصافير	(قصص)	بهاء السيد
١٣١ ـ عروس الأرض	(شعر)	عزت محمد جاد

العدد القادم :

الرحيل عن مدن الهزئم	(قصص)	خالد محمد غازى

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة الصحف ·
- مكتبة الهيئة ·
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة ·
- منافذ التوزيع فى مكان وفروع الثقافة الجماهيرية وهى كما يلى :

— الوادى الجديد ·· الداخلة والخارجة ·
— البحيرة ·
— المنيا ·
— دمياط ·
— فارسكور ·
— القليوبية (بنها) ·

رقم الايداع ١٩٩٣/٤٨٧٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3397 — 3

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب